التشبيه الضمني وشواهده القرآنية في الدرس البلاغي بين القبول والرفض

نزيه محمد إعلاوي *
nazeehelawi@bau.edu.jo
علي عودة السواعير **
Aliodeh@bau.edu.jo

تاريخ تقديم البحث: 2021/12/21 تاريخ قبول البحث: 2022/7/1 https://doi.org/10.35682/jjall.v18i4.570

الملخّص

سعت هذه الدراسة إلى إثبات أن ما يسمى التشبيه الضمني عند دارسي البلاغة لم يصنف في بابه البلاغي الصحيح، وأن هذا الضرب من "التشبيه" إنما هو استخدام بعض الشعراء نمطا من البرهان يوهم المتلقي أن هناك تشابها بين مشبه ومشبه به. كما تهدف إلى إثبات أن ما ورد في بعض الدراسات الحديثة من شواهد قرآنية للتشبيه الضمني، لا يمكن تصنيفه ضمن هذا الباب من "التشبيه"، وذلك بعرض هذه الشواهد القرآنية على التعريفات المستقرة عند البلاغيين لهذا "التشبيه"، ومراجعتها استنادا إلى المنهج القرآني وطريقته في تقرير الحقائق.

واعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك من خلال استعراض التعريفات والشواهد التي يقدمها البلاغيون لهذا الضرب من "التشبيه"، واستعراض الأمثلة والشواهد القرآنية التي يفترض أنها من هذا الضرب من "التشبيه"، ثم مراجعة هذه التعريفات والشواهد مراجعة تحليلية منطقية.

وقد انتهت هذه الدراسة إلى ضرورة إعادة النظر في تصنيف "التشبيه الضمني"، ووضعه في باب بلاغي آخر غير باب التشبيه، وأن الأمثلة والشواهد القرآنية التي يوردها بعض الدارسين على أنها شواهد لهذا الضرب من "التشبيه" في القرآن ليست كذلك.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، الضمني، البرهان، البلاغة، القرآن.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة البلقاء التطبيقية.
** أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، جامعة البلقاء التطبيقية.
© حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

Implicit Simile and its Quranic Examples in the Scholarship of Eloquence between Acceptance and Rejection

Nazeeh Muhammad Elawi*
nazeehelawi@bau.edu.jo

Ali Odeh Alswaeer* *
Aliodeh@bau.edu.jo

Submission Date: 21/12/2021 **Acceptance Date: 1/7/2022**

Abstract

This study aims to prove that the so-called implicit simile among scholars of eloquence was not classified in its correct eloquence category, and that this type of simile is in fact an attempt of some poets to use a pattern of proof that deceives the recipient that there is a similarity between two elements. The study also aims to prove that what has been mentioned in some recent studies as examples of implicit simile from the Qur'an cannot be classified as such, by testing these Qur'anic examples against the established definitions of simile by eloquence scholars, and by reviewing these examples based on the Qur'anic approach and its method of determining facts.

The study relied on the descriptive analytical approach. This is done by reviewing the definitions and examples provided by the scholars of eloquence studies for this type of simile, and by reviewing the Qur'anic examples that are supposed to be illustrations of this type of simile. The study then provides a critical review of these definitions and examples.

The most important result of this study is the need to reconsider the classification of "implicit simile" and place it in an eloquence category other than the category of simile, and to reconsider the Qur'anic examples cited by some scholars as illustrations of this type of simile.

Keywords: simile, implicit, proof, eloquence,

* Assistant Professor, Department of Arabic, Al-Balqa Applied University.
** Associate Professor, Department of Arabic, Al-Balqa Applied University.
© Copyright reserved for Mutah University, Karak, Jordan.

مقدمة

أصبح شائعاً في الدراسات القرآنية والبلاغية الحديثة التصدي لموضوع التشبيه الضمني في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد تعددت صور تناول هذا الموضوع وتكاثرت بحيث لم يعد ممكنا حصرها وإحصاؤها، ولعل أبرز أشكالها هو تناول بعض الباحثين لهذا الموضوع والإلحاح عليه في بعض كتب الدراسات القرآنية والبلاغية، أو الأبحاث المحكمة، أو الرسائل الجامعية ضمن البحوث المتعلقة بالتشبيه عموما في القرآن الكريم[1].

وإذا كان تناول التشبيه الضمني في الشعر والنصوص الأدبية يمثل درساً لا يتجاوز أثره حدود الأبعاد الجمالية والثقافة البلاغية، فإن تناوله في القرآن الكريم والحديث الشريف يتجاوز هذه الأبعاد إلى حدود العقيدة والتشريع، وغيرها من المحاذير المتعلقة بالنص المقدّس, إذا كان الأمر كذلك، فإنه محوج إلى مزيد من المراجعة والتأنّي قبل الجزم المتسرّع بغية إثبات أن في القرآن الكريم هذا الفن البلاغي أو ذاك، وأن غيابه عن النص القرآني قد يُفقد النص القرآني هذه الميزة.

إن المعيار الأساسي الذي يمكن من خلاله إثبات وجود جنس بلاغي أو فن بلاغي ما في أي نص من النصوص، يقوم أولا على إثبات أن المثال الذي يُورَد لهذه الغاية ينتسب فعلا إلى هذا الفن البلاغي، ويصلح أن يكون شاهدا من شواهده. وفي هذه الحال يكون التعريف المتداول لهذا الفن عند دارسي البلاغة وعلمائها هو المعيار الذي يعتمد عليه ويعوّل للحكم بصحة انتساب هذا المثال إلى هذا الفن من عدمه. ولا ينبغي للدارس الاعتداد بالذوق غير الخبير ولا المدرّب، ولا اتباع أصحاب الهوى والعواطف الذين لا تقوم أحكامهم على الضبط العلمي الدقيق للمصطلح، خاصة حين يتعلق الأمر بالقرآن الكريم.

(1) منها على سبيل المثال: أبو حمدة، محمد علي، *من أساليب البيان*، ط2، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، 1983؛ العثمان، بدرية بنت حسين، *من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث*، ط1، دار الراية، الرياض، 1997؛ العجالين، سلامة، *التشبيه في القرآن دراسة أسلوبية*، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن، 2004؛ الأنصاري، عمر بن عطية الله، *تشبيهات القرآن الكريم وأثرها في التفسير (من سورة الروم إلى آخر القرآن الكريم)*، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 2011؛ عباس، نبراس جلال،" التشبيه في النص القرآني"، *مجلة الآداب*، جامعة بغداد، ع 104، 2013، وغيرها.

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن مشروعية إدراج التشبيه الضمني في باب التشبيه، فهل ما تناوله دارسو البلاغة من أمثلة التشبيه الضمني يقع حقا في باب التشبيه؟ هذا هو السؤال الأساسي للدراسة، الذي تحاول الإجابة عليه من خلال مراجعة تعريفات التشبيه الضمني، ومراجعة فهم دارسي البلاغة لشواهده. أما السؤال الآخر الذي تبنى إجابته استناداً إلى ما تصل إليه الدراسة من إجابة على السؤال الأول، فهو: أفي القرآن الكريم تشبيه ضمني؟

تسمية التشبيه الضمني

لم تورد كتب البلاغة السابقة لعبد القاهر الجرجاني، التي أفردت للتشبيه أبوابا خاصة به، لم تورد هذه الكتب أمثلة للتشبيه الضمني ولم تلتفت إليه [1]. ويبدو أن أول من التفت إلى هذا النوع من التشبيه ووقف عليه وحاول أن يقدم تصوّراً عنه، هو عبد القاهر الجرجاني، وذلك في سياق حديثه عن التمثيل وغير التمثيل، فجعل التمثيل على ضربين ؛ الضرب الأول منها هو الغريب البديع الذي " يمكن أن يُخَالف فيه، ويُدّعى امتناعه واستحالة وجوده "، ومثّل لهذا الضرب ووضحه من خلال بيت المتنبي:[2](الوافر)

فإنْ تفُقْ الأنام وأنت منهم فإن المِسك بعض دم الغزال

أما أول من أطلق لفظ (ضمني) على أمثلة هذا الضرب من التشبيه، فهو الخطيب القزويني في كتابه (التلخيص في علوم البلاغة)، وقد جاءت التسمية عرضا أثناء تعليقه على بيت المتنبي " فإن تفق الأنام" بكلام هو تكرار لتعليق الجرجاني عليه. ثم ينتقل لما قد يقع في نفس المتلقي حول حقيقة هذا التشبيه فيقول: "فإن قلت: أين التشبيه في هذا البيت ؟ قلنا: يدل البيت عليه ضمناً، وإن لم يدل عليه تصريحاً[3].

(1) غنام، محمد فواز، " *التشبيه الضمني*"، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، م2، ع112، 2018، ص6؛ الساريسي عمر عبد الرحمن،" التشبيه الضمني وأولياته في شعر العصر العباسي"، *مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق*، م84 ج 3، 2009، ص 722- 724.

(2) العكبري، أبو البقاء، عبدالله بن الحسين (ت 616هـ/ 1219م)، ديوان *أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان*، دار المعرفة، بيروت، ج3، ص 20؛ الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471 هـ/1078م)، *أسرار البلاغة*، علق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ص 122-123.

(3) القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 739 هـ/1339م)، *التلخيص في علوم البلاغة*، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، (د.ت.)، ص264.

ويبدو أن أول من أفرد هذا الضرب من التشبيه بباب خاص به، وعرّفه ومثّل له مستقلاً عن غيره، هما علي الجارم ومصطفى أمين في كتابهما (البلاغة الواضحة) مطلع القرن العشرين[1].

تعريف التشبيه الضمني

لا بد قبل الجزم بضرورة إفراد هذا الضرب من فنون البلاغة (التشبيه الضمني) بباب خاص به غير باب التشبيه، أن نقف عند المشترك من حدّه الذي حدّه به دارسو البلاغة، لنتبين من خلال هذا الحدّ، ومن خلال أكثر أمثلة هذا الفن تداولا، أنه لا يقع في باب التشبيه، وأن استمرار رتبه في هذا الباب (التشبيه) إنما هو بقوة التقليد لمن رتبه فيه أول مرة، وهو عبد القاهر الجرجاني، ولم يراجع. دليل ذلك أن الدارسين قبل الجرجاني لم يدخلوا أمثلة منه في أبواب التشبيه[2]، وغالب الظن أن ذلك قد يكون لأنهم لم يروا فيه تشبيها.

لم يُفرد القدماء –كما تبيّن مما سبق– هذا الضرب من التشبيه بباب مستقل به، وتم النظر في بعض أمثلته عند النظر في التشبيه التمثيلي نوعاً من أنواعه وضرباً من ضروبه، لذلك ستقف هذه الدراسة عند تعريفات الدارسين المحدثين الذين أفردوه نوعاً مستقلاً من أنواع التشبيه، وحدّوه ضمن التشبيه بحد خاص به، لم يتجاوز في الغالب أفق شرح القدماء لأمثلته، وتعليقهم عليها، خاصة شرح عبد القاهر الجرجاني وتعليقه.

يعرّفه مؤلفا البلاغة الواضحة بأنه: "تشبيه لا يوضع فيه المشبّه والمشبّه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يُلمحان في التركيب. وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أُسند إلى المشبه ممكن "[3].

(1) غنام، محمد، *التشبيه الضمني*، ص 6؛ الساريسي، *التشبيه الضمني وأولياته في شعر العصر العباسي*، ص 728.

(2) غنام محمد، *التشبيه الضمني*، ص 6، ص7.

(3) الجارم علي وأمين مصطفى، *البلاغة الواضحة*، دار المعارف، القاهرة، (د.ت.)، ص 47.

ويتبين من البحث الذي يقدمان به للتعريف من خلال ضرب الأمثلة، أن الشاعر أو الكاتب يفعل ذلك نزوعا إلى الابتكار ورغبة في إقامة الدليل على الحكم المسند إلى المشبه . وفي بيان التشبيه في بيت أبي تمام [1]: (الكامل)

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

انظر بيت أبي تمام فإنه يقول لمن يخاطبها: لا تستنكري خلو الرجل الكريم من الغنى فإن ذلك ليس عجيبا لأن قمم الجبال وهي أشرف الأماكن وأعلاها لا يستقر بها ماء السيل. ألم تلمح هنا تشبيها؟ ألم تر أنه يشبّه ضمنا الرجل الكريم المحروم الغنى بقمة الجبل وقد خلت من ماء السيل؟ ولكنه لم يضع ذلك صريحاً بل أتى بجملة مستقلة وضمّنها هذا المعنى في صورة برهان"[2].

ويعرّفه الهاشمي: " قد يورد التشبيه ضمناً من غير أن يُصرّح به ويُجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إلى المشبه "[3]. ويقول أحمد مطلوب في تعريفه: " الفكرة الرئيسية التي ينهض عليها التشبيه الضمني هي أن هذا اللون من التعبير لا يأتي فيه الطرفان في أسلوب من أساليب التشبيه التي مرت بنا، وإنما يلمح المشبه والمشبه به، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائما برهانا على إمكان ما أسند إلى المشبه"[4].

ويبدو من غير المناسب الاستطراد في ذكر تعريفات أخرى مما عَرّف به التشبيه الضمني دارسو البلاغة المحدثون، فهي فيما اطلع عليه الباحث لا تعدو تنويعاً لفظياً لما ورد في البلاغة الواضحة. ولتمييزه من غيره من أنواع التشبيه خصّ بعض الدارسين هذا التشبيه بميزات، هي:

- أن المشبه والمشبّه به يلمحان ويستنتجان، ولا يحكمهما رابط نحوي مباشر.
- أن المشبه جملة أو مجموعة من الجمل مستقلة عن المشبه به الذي هو كذلك.
- المشبه فكرة فيها غرابة، وادعاء لا مجال للتسليم به، يحتاج قبوله للدليل والبرهان.

(1) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت 231هـ/845م)، *الديوان*، مكتبة محمد علي صبيح، مصر، 1942، ص 185.
(2) الجارم، *البلاغة الواضحة*،ص 46.
(3) الهاشمي، أحمد إبراهيم، *جواهر البلاغة*، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2008، ص138
(4) مطلوب، أحمد، *البلاغة والتطبيق*، ط2، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، 1999، ص 308.

- المشبه به يكون أمراً مستقراً تطمئن له القلوب، أو هو جار مجرى السنة والقانون.
- حال المشبه وحال المشبه به اللذين يلمحان ولا يعبر عنهما مباشرة تتكافآن لا يزيد أحدهما على الآخر[1].

إن مجمل هذه التعريفات لا يتجاوز في مضمونه حدود ما جاء في تعليق الجرجاني على بعض أمثلة التشبيه التمثيلي، الضرب الأول منه، وهو الذي يسميه الغريب البديع " الذي يمكن أن يخالف فيه، ويدّعى امتناعه واستحالة وجوده[2]، والذي أطلق عليه الدارسون المحدثون تسمية (التشبيه الضمني). يقول في تعليقه على بيت المتنبي: فإن تفق الأنام وأنت منهم... البيت "، وهذا أمر غريب، وهو أن يتناهى بعض أجزاء الجنس في الفضائل الخاصّة به إلى أن يصير كأنه ليس من ذلك الجنس، وبالمُدَّعي حاجة إلى أن يصحح دعواه في جواز وجوده على الجملة إلى أن يجيء إلى وجوده في الممدوح. فإذا قال: " فإن المسك بعض دم الغزال " فقد احتج لدعواه، وأبان أن لما ادّعاه أصلا في الوجود، وبرّأ نفسه من صنعة الكذب وباعدها من سفه المُقدِم على غير بصيرة، والمتوسع في الدعوى من غير بيّنة. وذلك أن المسك قد خرج عن صفة الدم وحقيقته، حتى لا يعدّ في جنسه، إذ لا يوجد في الدم شيء من أوصافه الشريفة الخاصة بوجه من الوجوه، لا ما قلّ ولا ما كثر، ولا في المسك شيء من الأوصاف التي كان لها الدم دما البتة"[3].

ويكشف الجرجاني عن الغرض الذي يؤتى بمثل هذا الضرب من التشبيه لأجله، وهو أنه " يفيد الصحّة وينفي الريب والشك، ويُؤمِن صاحبه من تكذيب المخالف، وتهجّم المنكر، وتهكّم المعترض، وموازنته بحال كشف الحجاب عن الموصوف المُخبَر عنه حتى يُرى ويُبصَر، ويعلم كونه على ما أثبتته الصفة عليه موازنة ظاهرة صحيحة "[4].

(1) مطلوب، *البلاغة والتطبيق*، ص 309؛ قاسم محمد أحمد، *علوم البلاغة*، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2003، ص 173.

(2) الجرجاني، *أسرار البلاغة*، ص 122-123.

(3) الجرجاني، *أسرار البلاغة*، ص 123.

(4) الجرجاني، *أسرار البلاغة*، ص 124.

إن تعريفات التشبيه الضمني أول ما تشرع فيه هو محاولة إثبات مشروعية وجود هذا الجنس الأدبي في باب التشبيه، ذلك أن الركنين الأساسين أو طرفي التشبيه في التشبيه الضمني ينبغي للدارس أن يفترض أنهما كذلك، وأن يقيم عملية المشابهة استنادا إلى هذا الفرض. وهو مضطر للدفاع عن هذا الفرض، لأنه مهما حاول أن يسلك هذا الجنس في باب التشبيه، ومهما حاول أن يقنع المتلقي بمشروعية هذه النسبة، فإنها تبقى نسبة مشكوكاً في مشروعيتها. إن افتتاح تعريفات التشبيه الضمني لدى الدارسين بأنه تشبيه لا يجري على صورة من صور التشبيه المعروفة يتضمن مفارقة غريبة، فبدل الإثبات الذي يقوم عليه التعريف بالأصل نجد نفيا لأمر جوهري، فحتى يُضَمّ فرد إلى جنسه ينبغي أن يكون جارياً مجراه، غالبة فيه صفاته. فإذا كان التعريف غير قادر على الإلمام بخصائص المعَرّف وتوضيحها، والتعريف حد، فكيف يكون حال أفراد هذا الجنس من الأمثلة ؟، وكيف يمكن للبلاغي أو دارس البلاغة أن يقنع المتلقي أن ما في أمثلة هذا الضرب هو تشبيه؟

إن المتتبع لتعليق الجرجاني على بيت المتنبي " فإن تفق الأنام" الذي ورد نصه سابقاً يكشف عن (قوة) البرهان الذي احتج به المتنبي لدعواه، ويكشف غرابة هذا الأمر وإبداع الشاعر فيه، لكنه لا يكشف عن تشبيه! والمثال يساق للكشف عن ضرب من التشبيه. إن الناظر في الألفاظ التي يستخدمها الجرجاني في التعليق على البيت يرى أن الغالب عليها ألفاظ لها علاقة بالمنطق والبرهان، أو (الحجاج)، مثل: يخالَف، يدّعي، امتناع، استحالة، وجود، يصحح، دعوى، احتج، أصل، برّأ، كذب، بيّنة، بصيرة، حقيقة... بل إن الخطيب القزويني الذي ينقل تعليق الجرجاني على بيت المتنبي نقلا يكاد يطابق كلام الجرجاني، يقع في نفسه مثل هذا التساؤل، فبعد أن انتهى من ذكر تعليق الجرجاني على البيت تنبه إلى أن هذا التعليق لا يعدو أن يكون محاولة للكشف عن براعة المتنبي في صياغته لما يتضمنه البيت من برهان على طريقة غريبة مُعجِبة، وأن الجرجاني لم يذكر التشبيه ولم يجر مشابهة، عند ذلك يبادر القزويني إلى التنبيه على أن التشبيه يُفهم ضمنا: " فإن قلت: أين التشبيه في البيت ؟ قلنا: يدل البيت

عليه ضمناً، وإن لم يدل عليه تصريحاً " [1]. أليس غريباً، بعد كل هذا الشرح والتوضيح، أن يبقى المتلقي باحثاً عن التشبيه لا يعثر فيما يطّلع عليه من تعقيب العالم الجليل على حقيقته؟!

يمكن القول إن إعجاب الجرجاني بنمط من الشعر يحمل فكرة غريبة، ويمثّل نمطا بديعا من التعبير والفكر، لم يُلتفت إليه عند الدارسين الذين سبقوه، ولم يحظ باهتمامهم، يبدو أن ذلك ما دفع الجرجاني إلى تقديم هذا النمط على غيره في باب تشبيه التمثيل، وإعلان إعجابه به وتقديره له. ويبدو أن طبيعة التحليل الذي ساقه لأمثلة هذا الضرب من الفن وما يشتمل عليه ظاهر هذه الشواهد من إيهام بالتشبيه، هو ما دفعه لتصنيف هذا الفن تحت باب التشبيه. ويبدو أن هذا الأمر لم يحظ بمراجعة مدققة من قبل الدارسين، وأنهم تبعوا بعضهم بعضاً في ذلك دون مراجعة مدققة لحقيقة هذا الضرب من الفن. لقد بقيت مراجعات الدارسين مراجعات شكليّة سطحيّة، اقتصرت على استخلاص ميزات يمكن من خلالها تمييز هذا الضرب من التشبيه عن غيره. وقد سبق ذكر ملخص منها، ولو ذكرت جميعا لبلغت نحو عشر ميزات يمتاز بها هذا التشبيه عن غيره من أبناء جنسه، فأي مشروعية تبقى لهذا الضرب من الفن في باب التشبيه؛ إذا كان المراجِع له ملزما بالتسلح بكل هذه الميزات ليكشفه ويحدده ويتعرّف إليه بين أبناء جنسه؟

واستناداً إلى ما يظهر من نفور هذا الفن عن جنس التشبيه، واحتياج الدارس إلى قدر كبير من الاحتجاج وتطويع النص ليفهم على غير يقين أن هناك تشبيها، فإن هذه الدراسة ترى أن إخراج هذا الفن من باب التشبيه، وإفراده بباب خاص به يمكن أن يحمل عنوان (البراهين الشعرية) قد يكون أوضح دلالة عليه، وأقرب مأخذا، وأدخل في باب المنطق السوي.

إن ما يسوّغ لفظة (برهان) للإشارة إلى هذا الفن أن هذه اللفظة شاع استعمالها – هي أو ما يحمل معناها من الألفاظ – كثيرا في تعريفات التشبيه الضمني، وفي التعليق على شواهده وأمثلته؛ فمثلاً الجرجاني في تعليقه على بيت المتنبي "فإن تفق الأنام..." يقول: " فإذا قال:" فإن المسك بعض دم الغزال"، فقد احتج لدعواه، وأبان أن لما ادّعاه أصلا في الوجود..."[2]، فهذا يعني أن المتنبي قدّم البرهان

(1) القزويني، *التلخيص في علوم البلاغة*، ص 264.

(2) الجرجاني، *أسرار البلاغة*، ص 123.

على صحة الدعوى. والأمر نفسه يتكرر عند الخطيب القزويني: "... فأبان أن لما ادّعاه أصلاً في الوجود "[1].

وإذا نُظر في التعريفات التي وردت سابقا، وهي مُغنية عن النظر في كثير من أشباهها، فإن (البرهان) حاضر تصريحاً في تعريف (مطلوب) ومعنى في تعريف (الجارم وأمين والهاشمي). وحيثما ينظر الدارس، في تحليل أمثلة هذا الضرب وشواهده عند الدارسين، يجدهم يستعملون هذا اللفظ (برهان) أو معناه في تحليلهم لأمثلته وتعليقهم عليها، يكتفى ببعضها، فببعضها غناء.

يقول المراغي عند ذكره لنوعي التمثيل: ومنه " ما يجيء بعد تمام المعاني لإيضاحها وتقريرها فيشبه البرهان الذي تثبت به الدعوى، كقول أبي العتاهية [2]: (البسيط)

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

ويوضح عبد العزيز عتيق التشبيه في بيت أبي تمام[3]: (الكامل)

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

"... فالكلام يوحي بتشبيه ضمني، ولو صرّح به لقال مثلاً: إن الرجل الكريم المحروم الغنى يشبه قمة الجبل وقد خلت من ماء السيل. ولكن الشاعر لم يقل ذلك صراحة، وإنما أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة برهان على إمكان وقوع ما أسنده للمشبه"[4].

وفي تعليق فضل حسن عباس على بعض أمثلته يقول: " كل تشبيه ضمني إذن لا بد أن يأتي عقب المعنى أي عقب تمام المعنى الذي يريده المتكلم ليكون بمثابة دليل وبرهان. استمع إلى قول أبي تمام [5]: (الكامل)

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

(1) القزويني، *التلخيص في علوم البلاغة*، ص 264.

(2) أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن كيسان (ت 210هـ/826م)، *الديوان*، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص 230؛ قاسم، *علوم البلاغة*، ص 226

(3) أبو تمام، *الديوان*، ص 185.

(4) عتيق، عبد العزيز، *علم البيان*، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 103-104.

(5) أبو تمام، *الديوان*، ص 65.

وهنا تجد أن المعنى الذي قصده الشاعر تم وكمل ولكنه أحس بأن هذا القول يحتاج إلى حجة... وكأنما الأمر يحتاج إلى حجة تصدّقه فأعقبه بالبيت الآخر[1]: (الكامل)

لولا اشتعال النار فيما جـــاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

ألا ترى أن الشاعر هنا قد أزال من نفسك كل ما علق بها من شك

فحيثما يمم الباحث في كتب البلاغة فإن الدليل والحجة والبرهان، هي ألفاظ التعبير عن طبيعة العلاقة بين المشبه والمشبه به في هذا الضرب من التشبيه.

إن شيوع لفظة البرهان، وطريقة الشعراء في صياغتهم لأمثلة هذا الضرب في أشعارهم على شكل دعوى وبرهانها، يمنح كلمة (براهين) مشروعية واضحة جلية، لا يحتاج الدارس لاستنتاجها والبحث عنها كما يفعل عند محاولته الكشف عن التشبيه في أمثلة هذا الضرب من الفن. فكل من يتصدى لكشف التشبيه في أمثلة هذا الفن من دارسي البلاغة القدماء منهم والمحدثين تراه يسوق عبارته على صورة يُستشف منها أن المتلقي منكر لوجود تشبيه في المثال أو هو، على الأقل، محتاج إلى مزيد من التوضيح لإقناعه. وعلى رأس هؤلاء الدارسين عبد القاهر الجرجاني، كمثل عبارته التي وردت سابقاً فقد احتج لدعواه، وأبان أن لما ادّعاه أصلاً في الوجود، وبرّأ نفسه من صنعة الكذب وباعدها من سفه المُقدِم على غير بصيرة، والمتوسع في الدعوى من غير بيّنة... ". وهو أمر لا يحتاج مزيداً للدلالة عليه فأمثلته في كتب البلاغة وعند دارسيها كثيرة مشهورة.

أما لفظة (شعرية) في التعبير عن هذا الضرب من الفن فإنها تكتسب وجاهتها من أمرين أساسيين:

أولهما – أن أمثلة هذا الضرب من الفن المشهورة الجلية لا تكون إلا في الشعر [2]، فالقدماء وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني لم يمثّلوا له إلا شعراً. أما المحدثون ففي تعريفاتهم يشيرون أحياناً إلى الشاعر

(1) أبو تمام، *الديوان*، ص 65؛ عباس، فضل حسن، *البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)*، ط11، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، 2007، ص 72.

(2) غنام، *التشبيه الضمني*، ص 3.

والكاتب في استخدام هذا الضرب من الفن، كما في (البلاغة الواضحة)، و(البلاغة فنونها وأفنانها)... لكنهم عند ضرب الأمثلة لا تكون أمثلتهم إلا شعراً!

ثانيهما – أن هذا الضرب من البراهين، لا يُقبل إلا في الشعر، بسبب طبيعة الشعر القائمة على الإيهام والتخييل؛ فالبراهين التي يسوقها الشعراء على طريقة ما يسمى التشبيه الضمني في القضايا التي يحاجّون بها، والتي يُطلب من المتلقي التسليم بصحتها، هي قضايا وادعاءات لا يمكن التسليم بصحتها أو التواطؤ على التسليم بها وقبولها، إلا لأنها تأتي في نص تعبيري يحمل على محمل الفن والجمال، ولا يُقيَم بمعيار المنطق ودقة الحقيقة والصدق الواقعي.

إن حماسة الجرجاني في تعليقاته على أمثلة التشبيه الضمني، وهي تعليقات أصبحت نمطاً متداولاً لدى دارسي البلاغة من بعده، إن هذه الحماسة والإعجاب بهذا الضرب من التشبيه صرفته عن التمييز أثناء التعليق بين الحقيقة والواقع، وبين الخداع العاطفي والخيالي الذي تقوم عليه البراهين في أمثلة التشبيه الضمني. أو أنه افترض أن المتلقي مشارك في لعبة الإمتاع التي يتآمر عليها الملقي والمتلقي في عالم الشعر، فلا ضرورة لتذكيره أنه ينظر إليها من أفق خاص، والاحتمال الثاني يضعفه استخدام الجرجاني في التعليق على بيت المتنبي عبارات تشي بالحقيقة لا بالفن "... وبرّأ نفسه من صنعة الكذب وباعدها من سفه المُقدِم على غير بصيرة... ".

إن البراهين التي يقدمها الشعراء فيما يسمى التشبيه الضمني لا يمكن قبولها أو التسليم بها إلا ضمن هذا الأفق التخيلي؛ لأنها لا تصمد وتتهافت لو تم فحصها فحصاً منطقياً عقلانياً دقيقاً. لقد شاعت مثل هذه البراهين في أشعار شعراء العصر العباسي، وقد كانت نادرة لا يكاد يعثر على شيء منها في شعر الشعراء السابقين[1]، والشعراء الذين شاعت هذه البراهين في أشعارهم من شعراء العصر العباسي كانوا على صلة بالفلسفة واطلاع على المنطق كأبي تمام والمتنبي [2]، فظهر أثرها بصياغة شعرية، ممزوجة

(1) غنام، *التشبيه الضمني*، ص10؛ الساريسي، *التشبيه الضمني وأولياته في شعر العصر العباسي*، ص 730.

(2) التطاوي، عبدالله، حركة *الشعر بين الفلسفة والتاريخ*، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص85؛ الشمري، ثائر سمير، "الاحتجاج في شعر أبي تمام "، *مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بابل*، ع5، 2011، ص 193.

قصدا بالعاطفة والخيال والأوهام، مراوغة فلا يمكن محاكمتها بأحكام المنطق العقلي الدقيق، ويمتد نسبها إلى الحكمة وإن بسبب زائف، فتكون بذلك بنت عصرها.

إن البراهين الشعرية، أو أمثلة التشبيه الضمني، التي تسعى للبرهنة على صدق الدعوى، أو ما يسمى إمكان المشبَّه، إذا ما نظر إليها من منظار العقل والمنطق لا من منظار الفن أو الإعجاب بإبداعها، كما هي عند الجرجاني وعند دارسي البلاغة، فإن صدقها أو إمكانها لا يصمد أمام التمحيص المنطقي الدقيق. إن ما يتم فعلاً وواقعاً في البراهين الشعرية هو اعتماد الشاعر على الشحن العاطفي الذي يتلبس مقام التلقي الشعري، حيث لا يدقق المتلقي بعيداً في منطق الشاعر، فيحمّل القوالب الشعرية عبارات توهم بالاحتكام إلى العقل والمنطق السوي في إثبات الدعوى. " إن للشعراء سبلاً مخصوصة تتيح لهم أن ينوّعوا وجوه تصريف أقاويلهم الشعرية وطرائقه، وأن يسلكوا جُددا عصية في التصوير الفني طلبا للتأثير في المخاطب، لأسره والسعي إلى إقناعه، فيشقون مسالك في المحاجة غير مألوفة لحظة نسج أخيلتهم ونحت صورهم..."[1]. إن هذا الإيهام، إذا وقع في بيت واحد، فغالباً ما يكون الشطر الأول دعوى أو مقولة تحتمل الصدق وتحتمل الكذب، أو لا يمكن التسليم بها وعدم المنازعة، ويكون الشطر الثاني مقولة أخرى، لكنها لا خلاف عليها أو واقعة تحت الحس الذي لا يمكن تكذيبه. والشاعر بجمعه بين المقولتين في سياق واحد يوهم المتلقي شكلا بأنه قد جاءه بالبرهان الذي لا مجال لدفعه. والنظر المدقق يكشف فساد مثل هذه البراهين وهشاشتها وتهافتها، ولتكن ثلاثة من أشهر أمثلته لا يكاد يتجاوزها دارس بلاغة منذ الجرجاني إلى يومنا هذا، نموذجا لمراجعة تنتمي إلى منطق العقل لا إلى منطق الفن، للتمثيل فقط، أولها – بيت المتنبي[2]:

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

فالدعوى في الشطر الأول مما يمكن المنازعة فيه وإنكاره، فلا يمكن أن يتفق الناس على تفوق الممدوح على الناس تفوقاً يخرجه من جنسهم إلى جنس آخر يتفوق عليهم جميعا، بل قد لا يرى بعض

(1) ظاهري، الناصر،" أفانين البيان في اعتذارية النابغة الذبياني للملك النعمان "، *عالم الفكر*، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 179، 2019، ص 201.

(2) العكبري، *ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري*، ج3، ص 20.

الناس للممدوح أي ميزة على غيره من الأنام، وقد يكون في نظر بعضهم أقل من كثير من الناس قدراً. هذه المقولة في الشطر الأول تقابلها في الشطر الثاني مقولة أخرى من سياق معرفي آخر لا علاقة له بالناس محاسنهم ومساوئهم، وهذه مفارقة ومغالطة لا تقبل في المنطق السوي، لكن الشاعر يعلم أن المتلقي منشغل في مقام التلقي عن مثل ذلك، أو متواطئ معه تواطؤ المتعة فلا بأس من استغلال الغفلة. وتكون المقولة الثانية مقولة لا خلاف بين جمهور المتلقين عليها، محسوسة قريبة من أفهامهم. إن المتلقي في مقام التلقي الأول يلفته سلامة الشكل وقوة البرهان، وهو منشغل عن التدقيق والتمحيص المنطقي، فيتوهم أن في هذا النوع من البرهان عظمة وإبداعا ودليلا قويا على ما يدعيه الشاعر.

وثانيها – بيت أبي تمام [1]: (الكامل)

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

الشطر الأول يتضمن مقولة مفادها أن الكرم سبب فقره (سبب الفقر) وهي مقولة يسوقها الشاعر في مقام حجاج عاذلته التي تعذله وتتذمر من فقره بل تلومه على ذلك [2]: (الكامل)

كُفّي وَغاكِ فَإِنَّـني لَكِ قالي لَيسَت هَوادي عَزمَـتي بِـــتَوالي

أَنا ذو عَرَفــتِ فإِن عَرَتكِ جَهالَةٌ فَأَنا المُــقـيمُ قِيـــامَةَ العُذّالِ

عَطَفَت مَلامَتَها عَلى اِبنِ مُلِمَّةٍ كَالسَيفِ جَأبِ الصَبرِ شَختِ الآلِ

وهي دعوى قد يكذبها الواقع، وتدفعها شواهد لا يمكن حصرها، لكن الشاعر يستغل مقام الشعر، وجو الشحن العاطفي، وغفلة المتلقي؛ فيسوق في الشطر الثاني ما يوهم أنه برهان لمقولته في الشطر الأول، وحجة توهم أن مقولته لها ما يدعمها في الواقع المشاهَد الذي لا ينازع فيه ويراجع. إن ما جاء في الشطر الثاني من حقيقة قارة في النفوس لا يمكن أن يكون برهاناً منطقياً لما جاء في الشطر، ولو كان في سياق غير الشعر اتهم قائله بالخداع والتدليس. وإذا نُظر في تعليق بعض دارسي البلاغة على هذا المثال المتكرر في كتبهم ودراساتهم يُلاحظ ضعف المنطق في تعليقاتهم، فتعليق البلاغة الواضحة: "انظر بيت

(1) أبو تمام، *الديوان*، ص 185.

(2) أبو تمام، *الديوان*، ص 185؛ التبريزي، يحيى بن علي بن محمد (ت502هـ/ 1108م)، *شرح ديوان أبي تمام*، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994، ج2، ص 37–38.

أبي تمام فإنه يقول لمن يخاطبها: لا تستنكري خلو الرجل الكريم من الغنى فإن ذلك ليس عجيباً لأن قمم الجبال وهي أشرف الأماكن وأعلاها لا يستقر بها ماء السيل. ألم تلمح هنا تشبيها؟ ألم تر أنه يشبّه ضمنا الرجل الكريم المحروم الغنى بقمة الجبل وقد خلت من ماء السيل؟ ولكنه لم يضع ذلك صريحاً بل أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة برهان"[1].

فالحقائق المهمة التي ينبغي أن تُقر تُساق على شكل استفهامات، والجملة الثانية برهان على الأولى، لكن حقيقة النظر تكشف أن لا تشبيه في البيت، وأن البرهان شعري، ولا يمكن قبوله خارج شعريته.

وثالثها– بيتا أبي تمام [2]: (الكامل)

وإذا أراد الله نشر فضـيلة طويت أتــاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

يمثل البيت الأول زعماً أو مقولة بأن نشر الفضائل التي طواها الزمان يتم على ألسنة الحاسدين، ويأتي البيت الثاني برهاناً على هذه المقولة فامتداد النار إلى بعض الأعشاب هو الذي يكشف رائحتها الزكية وإن يكن عن غير قصد. فالشاعر في البيت الأول يسوق مقولة لا يمكن التسليم بها، وقد لا يرضى بها بعض الناس، ويعترضون على مضمونها، فيلحقها بمقولة أخرى تحظى بالقبول ويسلم بها المتلقي في البيت التالي، فيوهم المتلقي أن المقولة الثانية هي برهان ودليل على صدق المقولة الأولى. لكن المتأمل في البيتين يلاحظ فساد هذا البرهان عقلاً وواقعاً، إذ كل مقولة من المقولتين لا علاقة لإحداهما بالأخرى غير أنهما قرنتا ورتبتا على صورة توهم بتعلق إحداهما بالأخرى. وهو إيهام مبدع وخيال مجنّح استطاع الجمع بين أمرين جمعا لم يكن ممكنا لولا طبيعة الشعر وأفقه الخاص.

لا تشبيه ضمنياً في القرآن الكريم

يستنتج مما سبق أن (التشبيه الضمني)، ضرب من الفن خاص بالشعر كما انتهت إليه معظم الدراسات البلاغية، وأن مقصد هذا الفن، كما جاء في تعريفاته عند دارسي البلاغة ومن شواهده التي

(1) الجارم، *البلاغة الواضحة*، ص 46.

(2) أبو تمام، *الديوان*، ص65؛ التبريزي، *شرح ديوان أبي تمام*، ج1، ص213.

يستعرضونها، مقصده إثبات إمكان المشبّه وجوازه. بعبارة أخرى، وهو ما تقترحه هذه الدراسة: أن الشاعر يريد أن يُكسب قضية متنازعاً عليها قوة وثباتاً فيسوقها مقرونة بقضية لها حظ كبير من القبول في العرف والواقع، ليوهم المتلقي أن الأولى من جنس الثانية، وأن الثانية برهان على الأولى. وقد اقترحت هذه الدراسة لهذا الضرب من الفن تسمية (البراهين الشعرية) استنادا لتعريفات البلاغيين وشواهدهم وحقيقة أمثلته.

وإذا كان لا مشاحّة في الاصطلاح، فإنه لا اختلاف في الدلالة على أن مضمون تعريفات هذا الفن عند دارسي البلاغة وشواهدهم عليها، والمراجعة المدققة عقلاً ومنطقاً لهذه الشواهد، تثبت أنه لا يمكن أن تكون هذه الطريقة طريقة من طرائق القرآن في التعبير عن الحقائق وإثباتها. فالقرآن الكريم إنما يتخذ التشبيه والتمثيل والتصوير أسلوباً لتقريب الحقائق والأفكار من أفهام المتلقين، ولا يتخذ من التشبيه سبيلاً لإثباتها والبرهنة على وجودها. هذا وهي موجودة حقيقة وواقعاً، فكيف إن لم تكن كذلك كما في أمثلة الشعر التي تم عرض طرف منها. إن هذا الضرب من الفن بعيد عن القرآن فكراً وأسلوباً وغاية. أما إذا دفع بعض الباحثين بأن هذا الضرب من التشبيه، يختلف في القرآن عنه في الشعر[1]، فهذا كلام لا قيمة علمية له، ولا يصمد أمام التمحيص العلمي، فلماذا لا يكون التشبيه عموماً مختلفاً بين الشعر والقرآن، المفرد منه والتمثيل؟ ولماذا لا تكون الجملة الاسمية من حيث البناء نحوا في الشعر مختلفة عنها في القرآن؟ ولماذا لم يصنع البلاغيون علم بلاغة خاص بالشعر وآخر خاص بالقرآن؟ ولماذا يستقون شواهدهم من الشعر كما يستقونها من القرآن ؟ ولماذا يحاول هؤلاء التمييز في هذا الجنس البلاغي بين القرآن والشعر؟ يبدو أن الدافع لذلك إدراك هؤلاء أن البراهين الشعرية (التشبيه الضمني) في صورته الشعرية وأبعاده المعرفية لا يمكن أن يجد له في القرآن محلا. لقد كان حقيقا بهؤلاء الباحثين، استناداً إلى تعريف (التشبيه الضمني) وأمثلته، أن ينزهوا القرآن الكريم عن مثله، وأن يشيروا إلى هذا الأمر(خلو القرآن من التشبيه الضمني) على أنه مظهر من مظاهر الحق الذي يقوم عليه القرآن ويستند إليه، وأنه وجه من الوجوه التي تؤشر إلى ربانية مصدره وإعجازه. إن المعيار الذي ينبغي أن يُستند إليه في إثبات وجود هذا

(1) أبو حمدة، محمد علي، *من أساليب البيان*، ط2، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، 1983، ص 123.

الفن من عدمه في القرآن هو حد هذا الفن الذي يستند إليه علماؤه ودارسوه، فما ينطبق عليه الحد فهو منه وما لا ينطبق عليه الحد فليس منه.

إن المراجع للإشارات المتكاثرة لما يسمى التشبيه الضمني في القرآن الكريم، والأمثلة المتزايدة عليه في الدراسات البلاغية والقرآنية الحديثة يجد أن الأمثلة والشواهد القرآنية التي يصنفها الدارسون في بابه تدل على عدم تمثّل هؤلاء الدارسين لهذا التشبيه، أو عدم امتثالهم لحده، فحشدوا في دراساتهم له أمثلة لا تقع تحت حده، وأحياناً لا تقع حتى في باب التشبيه عموما، وسيأتي استعراضها لاحقاً.

أمثلة التشبيه الضمني في القرآن الكريم المتداولة عند الدارسين

راجع الباحثان عدداً كبيراً من المراجع التي احتوت على شواهد للتشبيه الضمني في القرآن الكريم، فوجد أن من هذه الشواهد ما يتكرر عند بعض الدارسين، وغالباً ما يكونون ممن يتناولون التشبيه في القرآن الكريم بصورة عامة، وأن منها ما لا يتكرر وينفرد به بعض الدارسين لاختصاص دراساتهم بأجزاء من القرآن الكريم لا يقع من ضمنها الشاهد المكرر عند غيرهم. وستعمد هذه الدراسة إلى عرض هذه الشواهد ومناقشتها:

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [1].

تكررت هذه الآية من سورة الحجرات مثلاً للتشبيه الضمني عند أغلب الباحثين المحدثين الذين اطلع الباحث على دراساتهم[2].

إن الناظر فيما في الآية الكريمة من تمثيل وتصوير لكراهة فعل الغيبة، لا يرى فيها ما يقع في باب التشبيه الضمني استناداً إلى تعريفه، فالمشبه المفترض وهو الغيبة أمر موجود في الواقع وتعافه النفوس

(1) سورة الحجرات، آية 12.

(2) أبو حمدة، *من أساليب البيان*، ص 124؛ العجالين، *التشبيه في القرآن دراسة أسلوبية*، ص 65؛ البغا، مصطفى ديب، *الواضح في علوم القرآن* ط2، دار الكلم الطيب، دمشق، 1988، ص 198؛ شحاته، عبد الله، *علوم التفسير*، دار الشروق، القاهرة، 2001، ص 122؛ عبد الغني، أيمن أمين، *الكافي في البلاغة*، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، 2011، ص 58؛ القطان، مناع، *مباحث في علوم القرآن*، ط3، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، دمشق، 2000، ص 293.

الكريمة، لا ينكر ولا ينازع فيه ولا يحتاج إلى البرهنة على وجوده وإثباته. وما الصورة الكريهة التي تقدمها الآية الكريمة لهذا الفعل إلا توضيح وتقريب لهذا الأمر من خلال التصوير والتجسيم والتمثيل، والسياق متصل والضمائر تدل مباشرة على المقصودين، وليس التشبيه الضمني كذلك.

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [1]. هذه الآية من سورة الأعراف مثال مكرر أيضاً عند الدارسين للتشبيه الضمني[2].

إن النص القرآني لا يريد البرهنة على عدم إمكان دخول الكافرين الجنة، فهي قضية ثابتة مؤكدة، فليس هناك قضية يراد إثباتها والبرهان عليها وهو جوهر التشبيه الضمني، وإنما هناك قضية يراد تقريرها في النفوس من خلال صورة مألوفة لديهم تقرّب لهم مفهوم الاستحالة الواقع في النص فكرة. والنص متصل نحوياً ومعنوياً، وليس هناك مقولتان الثانية منهما تبرهن صحة الأولى، بل إنّ عدم دخول الجمل في سم الخياط تأكيد للاستحالة في نفوسهم وتقريب لها من أفهامهم وتوضيح. والتشبيه الضمني ليس كذلك.

- قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (3). الآية الكريمة مثال مكرر عند الدارسين للتشبيه الضمني (4).

إن النص القرآني يمثّل الصوت المنكَر ويقرّبه من أفهام المتلقين على صورة تنكرها النفوس الكريمة، والنص متصل معنى، فالحض على خفض الصوت والمثال لكراهته، وليس هناك ما يراد إثبات إمكانه،

(1) سورة الأعراف، الآية 40.

(2) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1998، ج8، ص 567؛ حريري، استشهاد أسامة، *التشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير من بداية القرآن إلى سورة التوبة*، رسالة ماجستير، *قسم* الكتاب والسنة *بكلية* الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، 2009، ص 290 – 291.

(3) سورة لقمان، الآية 19.

(4) المطعني، عبدالعظيم إبراهيم، *خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية*، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1992، ج2، ص 270؛ أبو حمدة، *من أساليب البيان*، ص 124؛ العجالين سلامة، *التشبيه في القرآن دراسة أسلوبية*، ص 65.

فليس هناك قضية مشكوك فيها تساق، وتحتاج إلى البرهان والدليل، بل هناك كراهة للصوت المرتفع، وتشخيص كريه لذلك. وقد جعل الزمخشري في صورة الحمار استعارة [1].

- قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [2].

تساق الآيات مثالاً للتشبيه الضمني [3]، وظاهر الآيات لا يدل على التشبيه، ولا يساق سياقته، ولا يقدم النص قضية مشكوكا فيها يبرهن عليها، اللهم إلا إذا كان المخاطب منكراً كافراً فتأتي الآية الأخيرة لتأكيد قدرة الله سبحانه على تحويل الخلق من صورة إلى صورة، وتوضيح لها لتقريب الفكرة من الأذهان. إن الكافر المنكر لقدرة الله في الأولى (إحياء العظام مرة أخرى) هو منكر للثانية، وإنما هو زيادة في التقريب والتوضيح، إذ يبدو أن أذهان أولئك لم تكن قادرة على استيعاب فكرة إعادة الخلق، فتقرب لهم بصورة يشاهدونها ويتعاملون معها كل يوم تقريباً. فالقرآن الكريم يقدم حقيقة مؤكدة وهي قدرة الله على إعادة الإحياء غير معتمد على تشكيك المشككين، ولا فيه انصياع لإنكارهم. وفي التشبيه الضمني عادة اعتراف أو شبه اعتراف بضعف المقولة الأولى(المشبه)، فتقوى بمقولة لا ضعف فيها، تكون برهاناً لها ودليلاً عليها(المشبه به)، والأمر ليس كذلك في الآيات. الأولى تأكيد والثانية توضيح للأولى وتقريب لها.

- قوله تعالى﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (34) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ(35) ﴾ [4].

من الواضح أن ليس في الآية تشبيه، كما يزعم بعض الباحثين[5]، وقد يشار في الآية الثانية إلى استعارة. والآيتان تقدمان نصاً واحداً متصلاً، هو زعم الكافرين، ليس فيه مقدمة، أو مقولة ثم مقولة أخرى هي برهان لها ودليل عليها. كل ذلك لا يتضمنه النص.

---

1) الزمخشري، محمود بن عمر (ت 538هـ/1143م)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987، ج3، ص 198.

(2) سورة يس، الآيات 78–80.

(3) أبو حمدة محمد علي، *من أساليب البيان*، ص 123– 124.

(4) سورة الدخان، الآيات 34–35.

(5) العجالين، *التشبيه في القرآن دراسة أسلوبية*، ص 65؛ العثمان بدرية بنت حسين، *من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث*، ط1، دار الراية، الرياض، 1997، ص 431.

- قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.(1)

إن هذه الآية تقرّب أثر القرآن من إدراك البشر من خلال التمثيل والتخييل (2). إنها لا تبرهن مشكوكاً في صحته، بل توضح مفهوماً يصعب إدراكه وتفسير أثره. وقد ذهب من جعل هذا مثلاً للتشبيه الضمني إلى أنه تشبيه ضمني " لعدم وجود مشبه ومشبه به" (3). وهذا أمر مستغرب! فكيف يكون تشبيها إن كان خالياً من المشبه والمشبه به؟! إن هذه الآية لا تصلح مثالا للتشبيه الضمني، ولا ينطبق عليها تعريفه، ولا مميزاته.

- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (4)

هذا المثال، أورده بعض الباحثين (5)، ولا حاجة لمناقشته فلا يخفى على من لديه أدنى نظر في البلاغة أنه لا يقع في باب التشبيه.

- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (6)

وهذه الآية لا يخفى أن لا تشبيه فيها، وإن أوردها بعض الباحثين مثالا للتشبيه الضمني (7)، وتتضمن في الجزء الأخير منها استعارة.

- قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (8).

(1) سورة الحشر، آية 21.

(2) الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ج4، ص 509.

(3) عباس نبراس جلال، " التشبيه في النص القرآني"، *مجلة الآداب*، جامعة بغداد، ع 104،2013، ص 265.

(4) سور الفيل، آية 1.

(5) عباس نبراس جلال، *التشبيه في النص القرآني*، ص 265.

(6) سورة هود، الآية 106.

(7) عباس نبراس جلال، *التشبيه في النص القرآني*، ص 266.

(8) سورة الروم، الآية 50.

يذهب الدارس الذي استشهد بالآية مثالا للتشبيه الضمني إلى أن المشبه هو إحياء الأموات، والمشبه به إحياء الأرض بعد موتها [1]. إن هذا يتعارض مع مفهوم التشبيه الضمني القائم على مقولة مشكوك بها تليها مقولة مؤكدة، وهذا واضح، فالنص ينتقل مما يمكن معاينته والتوثّق منه، إلى فكرة إحياء الموتى التي قد لا يتمثلها بعض الناس ولا يدركونها. والسياق كله متصل معنوياً بعضه ببعض فالنص لا يبتعد عن الفكرة الأساسية الحياة بعد الموت.

- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [2].

هذا المثال كسابقه من حيث الدلالة، وهو من أمثلة الباحث نفسه [3].

- قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [4].

يرى الباحث الذي استشهد بالآية السابقة للتشبيه الضمني أن التشبيه يفهم من السياق، ويقول: " والمعنى شبهناه بالملك الكريم ولم يصرحن بذلك... فيبدو المشبه هو المشبه به نفسه للصفة في المشبه " [5]. وهذا كلام في التشبيه غريب! وهذا الشاهد مستغن بنفسه عن التعليق، فهو لا يقع في باب التشبيه الضمني المعروف عند دارسي البلاغة.

الخاتمة

يفضي التحليل في هذا البحث إلى أن ما أطلق عليه الدارسون المحدثون (التشبيه الضمني) ، هو ضرب من وجوه القول ينبغي أن يفرد في باب مستقل به من أبواب البلاغة، وينبغي أن لا يكون باب

(1) الأنصاري، عمر بن عطية الله، *تشبيهات القرآن الكريم وأثرها في التفسير (من سورة الروم إلى آخر القرآن الكريم)*، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 2011، ص 145.

(2) سورة فصلت، آية 39.

(3) الأنصاري، عمر بن عطية الله، *تشبيهات القرآن الكريم وأثرها في التفسير*، ص145.

(4) سورة يوسف، الآية 31.

(5) عكاشة، محمود، *تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة*، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2014، ص 388.

التشبيه. ويؤشر ذلك إلى أن كثيراً من أبواب البلاغة القديمة محتاج إلى مزيد من المراجعة والضبط، وأن لا تؤخذ مباحثه مأخذ التسليم والتقليد.

وتؤكد هذه الدراسة ضرورة التبصّر عند دراسة نصوص القرآن الكريم، والنظر في المناهج والأدوات المستخدمة في الدراسة، وأن لا تأخذ الدارس الحماسة وغفلة التقليد. فالباحث في القرآن ينبغي أن لا يخوض فيه قبل التمكن التام من أدواته حتى لا يفضي به البحث إلى غير ما يريد كما تبين من مراجعة التشبيه الضمني ونسبته إلى القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم.

الأنصاري، عمر بن عطية الله، *تشبيهات القرآن الكريم وأثرها في التفسير (من سورة الروم إلى آخر القرآن الكريم)*، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 2011.

البغا، مصطفى ديب، *الواضح في علوم القرآن*، ط2، دار الكلم الطيب، دمشق، 1988.

التبريزي، يحيى بن علي بن محمد (ت502هـ/ 1108م)، *شرح ديوان أبي تمام*، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994، ج2.

التطاوي، عبد الله، *حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ*، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت231هـ/845م) ، *الديوان*، مكتبة محمد علي صبيح، مصر، 1942.

الجارم، علي وأمين مصطفى، *البلاغة الواضحة*، دار المعارف، القاهرة، 2010.

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت471هـ/1078م)، *أسرار البلاغة*، علق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة (د.ت).

أبو حمدة، محمد علي، *من أساليب البيان*، ط2، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، 1983.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (ت 538هـ/ 1143م)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987.

الساريسي، عمر عبد الرحمن،" التشبيه الضمني وأولياته في شعر العصر العباسي"، *مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق*، م 84، ع 3، 2009.

ظاهري، الناصر، *"أفانين البيان في اعتذارية النابغة الذبياني للملك النعمان"*، *عالم الفكر*، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 179، 2019.

عباس، فضل حسن، *البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)*، ط11، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، 2007.

عباس، نبراس جلال،" *التشبيه في النص القرآني*"، *مجلة الآداب*، جامعة بغداد، ع 104، 2013.

عبد الغني، أيمن أمين، *الكافي في البلاغة*، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، 2011.

أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم (ت210هـ/826م)، *الديوان*، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986.

عتيق، عبد العزيز، *علم البيان*، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.

العثمان، بدرية بنت حسين، *من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث*، ط1، دار الراية، الرياض، 1997.

العجالين، سلامة، *التشبيه في القرآن دراسة أسلوبية*، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن، 2004.

عكاشة، محمود، *تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة*، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2014.

العكبري، أبو البقاء، *ديوان أبي الطيب المتنبي* بشرح العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع حواشيه، مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شبلي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت.).

غنام، محمد فواز،"التشبيه الضمني "، *مجلة بحوث كلية الآداب*، جامعة المنوفية، م2، ع 112، 2018.

قاسم، محمد أحمد، *علوم البلاغة*، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2003.

القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت739هـ/ 1338م)، *التلخيص في علوم البلاغة*، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، (د.ت.).

القطان، مناع، *مباحث في علوم القرآن*، ط3، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، دمشق، 2000.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم، *خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية*، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1992.

مطلوب، أحمد، *البلاغة والتطبيق*، ط2، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، 1999.

الهاشمي، أحمد إبراهيم، *جواهر البلاغة*، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2008.

References

Al-Qur'ān Al-Karīm.

Al-Anṣārī, 'Umar bin 'Aṭiyyat Allāh, *Tashbīhāt al-Qur'ān al-Karīm wa Atharuhā fī al-Tafsīr (min Sūrat al-Rūm ilā Akhir al-Qur'ān al-Karīm),* Um Al-Qurá,

Al-Bughā, Muṣṭafá Dīb, *al-Wāḍiḥ fī 'Ulūm al-Qur'ān*, 2nd edition, Dār al-Kalim al-Ṭayyib, Damascus, 1988.

Al-Tabrīzī, Yaḥyá bin 'Alī Muḥammad (d.502A.H./ 1108A.D.), *Sharḥ Dīwān Abī Tammām*, 2nd, Dār al-Kitāb al-'Arabī, Beirut, 1994.

Al-Taṭāwī, 'Abd Allāh, *Ḥarakat al-Shi'r bayna al-Falsafah wa al-Tārīkh*, Dār Al-Thaqāfah li al-Nashr wa al-Tawzī', Cairo, 1992.

Abū Tammām, Ḥabīb bin Aws al-Ṭā'ī, (d.231A.H./845A.D.), *al-Dīwān*, Maktabat Muḥammad 'Alī Ṣubayḥ, Egypt, 1942.

Al-Jārim, 'Alī and Amīn Muṣṭafā, *al-Balāghah al-Wāḍiḥah*, Dār al-Ma'ārif, Cairo, 2010.

Al-Jurjānī, 'Abd Al-Qāhir bin 'Abd al-Raḥmān (d. 471A.H./ 1078 A.D.), *Asrār al-Balāghah*, reviewed by Maḥmūd Muḥammad Shākir, Maṭba'at al-Madanī, Cairo, (d.n.).

Abū Ḥamdah, Muḥammad 'Alī, *min Asālīb al-Bayān*, 2nd, Maktabat al-Risālah al- Ḥadīthah Amman, 1983.

Al-Zamakhsharī, Abū al-Qāsim Jār Allāh Maḥmūd (d. 538A.H. / 1143A.D.), *al-Kashshāf 'an Ḥaqā'iq Ghawāmiḍ al-Tanzīl*, 3rd, Dār al-Kitāb al-'Arabī, Beirut, 1986.

Al-Sārīsī, 'Umar 'Abd al-Raḥmān, "al-Tashbīh al-Ḍimnī wa Awliyyātuhn fī Shi'r al-'Aṣr al-'Abbāsī", *Majallat Majma' al-Lughah al-'Arabiyyah*, Damascus, vol. 84, no. 3, 2009.

Ẓāhirī, al-Nāṣir, "Afānīn al-Bayān fī I'tidhāriyyath al-Nābighah al-Dhubyānī li al-Malik al-Nu'mān", *'Ālam al-Fikr*, al-Majlis al-Waṭanī li al-Thaqāfah wa al-Funūn wa al-Ādāb, Kuwait, no. 179, 2019.

'Abbās, Faḍl Ḥasan, *al-Balāghah Funūnuhā wa Afnānhā ('Ilm al-Bayān wa al-Badī')*, 11th edition, Dār al-Furqān li al-Nashr wa al-Tawzī', Amman, 2007

'Abbās, Nibrās Jalāl, "al-Tashbīh fī al-Naṣ al-Qur'ānī", *Journal of Arts*, Baghdad University, vol. 104, 2013.

'Abd al-Ghanī, Ayman Amīn, *al-Kāfī fī al-Balāghah*, Dār al-Tawfīqiyyah li al-Turāth, Cairo, 2011.

Abū al-'Atāhiyah, Ismā'īl bin al-Qāsim (d.210A.H./826A.D.), *al-Dīwān*, Dār Beirut li al-Ṭibā'ah wa al-Nashr, Beirut , 1986.

'Atīq, 'Abd Al-'Azīz, *'Ilm al-Bayān*, Dār al-Nahḍah al-'Arabiyyah, Beirut, 1985.

Al-'Uthmān, Badrīyah bint Ḥusayn, *min Balāghat al-Qur'ān fī Mujādalah Munkirī al-Ba'th*, 1st edition, Dār al-Rāyah, Alriyad, 1997.

Al-'Ajālīn, Salāmah, *al-Tashbīh fī al-Qur'ān: Dirāsah Uslūbīyah*, MA thesis, Arabic department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Mutah University, Jordan, 2004.

'Ukāshah, Maḥmūd, *Taḥlīl al-khiṭāb fī Daw' Naẓarīyāt Aḥdāth al-Lughah*, 1st edition, Dār al-Nashr li al-Jāmi'āt, Cairo, 2014.

Al-'Ukbarī, Abū Al-Baqā' Abd Allāh bin al-Ḥusayn (d. 616A.H. /1219A.D.), *Dīwān Abī Al-Ṭayyib Al-Mutanabbī bi Sharḥ al-'Ukbarī al-Musammá bi al-Tibyān fī Sharḥ al-Dīwān*, reviewed by Muṣṭafā al-Saqqā, Ibrāhīm al-Abyārī, and 'Abd al-Ḥafīẓ Shiblī, 3rd edition, Dār al-Ma'rifah, Beirut, (d.n).

Ghannām, Muḥammad Fawwāz, "al-Tashbīh al-Ḍimnī", *Majallat Buḥūth Kullīyat al-Ādāb*, Menoufia University, vol. 2 no.112, 2018.

Qāsim, Muḥammad Aḥmad, *'Ulūm al-Balāghah*, 1st edition, al-Mu'assasah al-Ḥadīthah li al-Kitāb, Tripoli, 2003.

Al-Qazwīnī, Jalāl al-Dīn Muḥammad (d.739A.H./ 1338 A.D.), *al-Talkhīṣ fī 'Ulūm al-Balāghah*, reviewed by 'Abd al-Raḥmān al-Barqūqī, Dār al-Fikr al-'Arabī, Cairo, (d. n.).

Al-Qaṭṭān, *Mannā', Mabāḥith Fī 'Ulūm al-Qur'ān*, 3rd, Maktabat al-Ma'ārif li al-Nashr wa al-Tawzī', Damascus, 2000.

Al-Maṭ'anī, 'Abd al-'Aẓīm Ibrāhīm, *Khaṣā'iṣ al-Ta'bīr al-Qur'ānī wa-Simātuh al-Balāghīyah*, 1st, Maktabat Wahbah, Cairo, 1992.

Maṭlūb, Aḥmad, *al-Balāghah Wa al-Taṭbīq*, 2nd, the Ministry of High education and Scientific Research, Baghdad, 1999.

al-Hāshimī, Aḥmad Ibrāhīm, *Jawāhir al-Balāghah*, 1st edition, Mu'assasat al-A'lamī li al-Maṭbū'āt, Beirut, 2008.